

الإبداع الشعبي. بين لذة الشفاهة وسلطة الكتابة

Folk creativity. Between the pleasure of the lips and the power of writing

د. ناصر عبد العزيز *

جامعة المسيلة

Abdelaziz.nacer@univ-msila.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسل: 2022/10./22 تاريخ القبول: 2022/11/03	الذوات/ الخواص، حيث لا اتصال (مباشر) بين طرفيه (المؤلف / القارئ) . لأن متلقيه لا يمارس أي تأثير على ملقيه، : الإبداع الشعبي في مجمله خطابات شفاهية، أو نتاج مشافه طرفاه هما : منتج ومستهلك (ملقي ومتلقي) يتصفان بالشعبية . وبحسب آراء السواد الأجم من دارسيه، يسهم كلا الطرفين في عملية الإنتاج المبدع، ولا يختص بها طرف دون آخر كما الحال في أدب فتنعدم حينها (ردة الفعل المباشرة) طالما أن عملية إرسال الإبداع هي مكتملة ومنتهية قبل وصولها إلى جمهور قرائه . حكاية تغالب شرس بين الشفاهة والكتابة وجدل ساخن بين أنصار إبداع العامة وأدب الخاصة سيقف هذا البحث منه موقف الدارس المتفحص .
الكلمات المفتاحية: ✓ الإبداع الشعبي: ✓ المبدع الشعبي: ✓ الشفاهية: ✓ الكتابية: ✓ النقد الشفاهي	Abstract :
Article info Received 22/10/2022 Accepted 03/11/2022	Popular creativity in its entirety is oral speeches, or the product of two sides of the mouth: a producer and a consumer (delivered and received) are characterized by popularity. According to the opinions of the vast

majority of its scholars, both parties contribute to the creative production process, and one party is not exclusive to it without the other, as is the case in the literature of subjects/privileged subjects, where there is no (direct) connection between its two ends (the author/reader). Because the recipient does not exercise any influence on the recipient, and then there is no (direct reaction) as long as the process of sending creativity is complete and finished before it reaches the audience of his readers. A tale of a fierce rivalry between lips and writing and a heated debate between supporters of public creativity and private literature. This research will stand the position of the scrutinizing student.

Keywords:

- ✓ popular creativity:
- ✓ popular creator.
- ✓ orality:
- ✓ Written:
- ✓ verbal criticism:

. مقدمة:

من جملة التأثيرات التي تشرك المتلقي مع ملقيه في دائرة الإبداع الشعبي -ولو بشكل بسيط - استحسانه أو استهجانته للعمل الإبداعي، وإبداء الإعجاب اتجاهه أو التملل منه أو تقبيح أشياء وتمليح أخرى . الأمر الذي يُلزم مبدع الشعب بإعادة صور إبداعه أو تصويبها وفقا لرغبة متلقيه التذوقية أو الاجتماعية أو العقدية حتى . لأنه « لا يحكي كل قصة سمعها أو أية قصة يسمعها، وإنما هو يحرص في كل مرة على أن يضيف إليها، ويحذف منها، ويؤكد على بعض الأحداث دون الأخرى » (محمد الجوهري ، 1988 ، صفحة 160) . وإذا كان الإبداع الخاص لا يُلزم مبدعه بمواجهة قرائه، فإن المبدع الشعبي يتحتم عليه أن يواجه متلقيه مباشرة، فيرضخ لسؤله ويدعن لنقده، سيرا على قاعدة وتقعيد العلامة الشيخ عبد الله العلايلي : « من ينقد عليّ كمن يؤلف معي » (صادق جلال العظم ، 2004 ، صفحة 06). وفي هذا السياق لا تستبعد (نبيلة إبراهيم) (نبيلة إبراهيم، 2009 ، صفحة 11) : اعتراف النقد الكلاسيكي العربي بهذا تعالق إبداعي بين المبدع ومتلقيه، إذ التصنيف الطبقي للشعراء (طبقات الشعراء) وغيره منهج نقدي حاول الكشف عن سر هذه العلاقة .

2. مفهوم الشفاهية .

1.2 الشفاهية لغة:

لاشك في أن (الشفاهية) تقع من إبداع الشعب موقع القلب من الجسد، وتلازمه ككنية لاصقة لهويته (الإبداع الشفاهي). ويغازلها الدارسون بمقابلات دلالية متغايرة منها: ثقافة اللسان أو الشفاه، والثقافة السائلة، ومعرفة السماع والارتجال، أو المتغير في مقابل الثابت.

والشفاهية لغة : المخاطبة من فيك إلى فيه . وتصريفها : (شفة. شفتان. شفاه. شفاهات). والنسبة إليها : (شفهي. شفاهي. شفوي. شفاوي). والوصف (شفهي. وشفوية). ويفضل صاحب الصحاح : شفهي على شفوي (الجوهري، 2009 ، الصفحات 605-606). بينما يجيز مجمع اللغة العربية بالقاهرة المصطلحين كلاهما (شفهي وشفوي) (معجم اللغة العربية، المعجم الوجيز، 1989 ، صفحة 347). فيجاء من ثم ترتيبهما استعمالا كالآتي : شفهي. شفاهي. شفوي. شفاوي. وأفضل بدوري (شفاهي) لخفتها.

2.2 أهمية الشفاهية لإبداع الشعب:

فالدارس لإبداع الشعب لا يعنيه مكانن أو دوافع النقلة الإنسانية من معرفة الشفاه إلى معارف الكتابة، لأن هذا الموضوع انشغال معرفي يتعالق وعلوم كونية كثيرة، بقدر ما يعنيه الرابط الموثق للعلاقة بين إبداع الشعب وهذه الأداة الفنية المميزة له اللصيقة بأداءات مبدعه. وبالتالي لا تهمه أيضا انزلا قات المفاضلين أو المنتصرين لأحد طرفي الجدلية (الشفاهة أو الكتابة)، طالما أن المبدع الشعبي قد حسم أمره بموقف ثابت حازم (العلم في الرأس لا الكرّاس).

وتاريخ التغالب بين (الرأسية) و(الكراسية) يرجح غالبا كفة الشفاه على حساب الورق المسود. وفي هذا السياق أورد صاحب كتاب : (مدخل إلى الشعر الشفاهي) روايتين مختلفتين مكاننا متقاربتين زمانا من واقع التثاقف بين المكتوب والشفاه (بولزومتور، صفحة 64):

1.2.2 ملحمة (الكاليفالا) : وهي مجموعة أشعار فنلندية يعود إبداع نصها الكتابي إلى شاعرهم (إلياس لورونت) العام (1835م)، ثم تحولت نتيجة الولع الشعبي بها بعد (15 سنة) من صدور نصها الأصلي إلى (كاليفالا شفاهية) جديدة ومكاملة، ومن يومها تتناقل الذاكرة الجمعية الملحمية (التكملة الشفاهية) وتهمل الأصل الكتابي. والمأمول من ذلك : أن تقييد المرويات الشفاهية بالكتابة لا يضع بالضرورة حدا لشفاهيتها.

2.2.2 هناك ما يعرف في إفريقيا بـ: (حلقة شاكا) وهو محارب عاش حقيقة في مطلع القرن (19م)، وبفضله تأسست (مملكة الزولو). وفي حياته حوله الولع الشعبي بشخصه وبطولاته إلى بطل أسطوري، ليغدوا موضوعا لأغان ملحمية، وفي العام (1925م) استلهم (توماس موفولو) وهو مثقف من قبيلة (بازوتو) من تلك الأغاني الشعبية مادة لإحدى رواياته، اعتبرت أول نص أدبي مكتوب في لغة قومه. والمأمول من هذا : استنجد الكتابية في حالات عديدة بوهج الشفاهية وقدرتها على الانتشار والاختراق.

3.2 التعالق بين الشفاهية والكتابية :

ف « لا نكاد نذكر الشفاهية إلا والكتابة ماثله في الأذهان، وحضور أحدهما يستدعي حضور الآخر تصريحاً أو تلميحاً، نطقاً أو تصوراً، ذكراً أو توقعا، وقد غدا هذا الزوج من المشهورات في الأزواج المسيطرة على مناهج التصنيف في التاريخ والعلوم والآداب» (نور الهدى باديس، صفحة 14)، ولأن الشفاهية إحدى أهم قنوات الاتصال البشري، فقد مرت البشرية بثلاث انقطاعات زعزعت لحملة التواصل فيما بين مكوناتها الفردية والجماعية، وهي : (بولزومتور، صفحة 62)

- من أكبر هذه الانقطاعات حلول الكتابية محل الشفاهية والتموقع المركزي للكتابة في مقابل انزياح وتهميش للشفاهة بعد أن كانت سمة المجتمع الإنساني لدهور مديدة، حيث لم يصبح كتابيا إلا في وقت متأخر من تاريخه. فإذا كان بروزه (المجتمع الإنساني) قبل حوالي (30 ألف أو 50 ألف سنة)، فإن أقدم مخطوط (مكتوب) لدينا يرجع تاريخه إلى (6 آلاف سنة) فقط. ومن مجموع (3 آلاف لغة) يتكلم بها اليوم لا توجد سوى (حوالي 80 لغة) فقط لها أدب مكتوب (والترج أونج، 1994، صفحة 48).

- الانتقال من سلطة اليد الكاتبة إلى سلطة الآلة أو الكتابة المطبعية، أو حلول المطبوع مكان المخطوط .

- الهجمة السمعية البصرية المبالغ فيها واستحواذها على قنوات الاتصال البشري.

ويعد بروز الشفوي من جديد ممثلاً بشفاهية (وسائل الإعلام والاتصال الحديثة) حدث مماثل لشفاهية ما قبل الكتابة، وشبيه بشفاهية الإبداع الشعبي أيضاً. والسبب فيما يراه (بول زومتور/ P. zumthor) : أن استعادة الشفاهية سلطته كوسيط ثقافي بين المنتج للمعرفة الحياتية ومستهلكه، هو لأن الخطاب الآني (الصوتي والمسموع) لا يقتزن بفردانية الملقى ومتلقيه أو شخصانية الناطق و السامع، بل بمنهج مجهول ومستهلك مجرد (نور الهدى باديس، صفحة 15).

ويتخوف البعض من استفاقة (وحش الشفاهية) من جديد في ثوب الطفرة الإعلامية وغمرة قنوات الاتصال الحديثة، ويطالب بتجاوزها و « هذا التجاوز له اسم هو الكتابة. أجل (الكتابة) . بما هي المنعطف أو الأداة التي ينهي بها الوعي الفردي والجمعي سطوة التاريخ الشفوي» (محمد العباس، 2008، صفحة 23). لأن الانتقال من زمنية الشفاهية إلى زمنية الكتابية، هو انتقال من « حال البداوة إلى حال الحضارة . من حال الوعي بالقبيلة إلى حال الوعي بالأمة . من حال الاستجابة العفوية إلى الطبيعة إلى حال البناء المعقد للثقافة» (جابر عصفور، 2005، صفحة 158)⁽¹⁾. والحال الثانية من هذه المزاوجات وضع معرفي وحضاري تطمح إليه أغلب الشعوب والقوميات، ومثلها أمتنا العربية لا تخفي حيازتها لهذا الوضع من المعرفة المشروط بوضع الكتابية، وبمسعى دؤوب لحيازته مرت الكتابية العربية بأشواط، حُددت بواسطتها أنماط التأليف الكتابي العربي وهي (نبيلة إبراهيم، صفحة 48):

- الكتابة باعتبارها مخطوطة.

- الكتابة باعتبارها الممكن طبعه.

- الكتابة باعتبارها المعلوماتية.

ولا تزال هذه الأنواع آنية الحضور في الفعل الثقافي العربي الراهن لكن النوع المهيمن هو الثاني (الكتابة الممكن طبعها) . ونقيض الكتابة والتأليف : الشفاهة أو الارتجال، أو الهواء الذي يتنفس به المبدع الشعبي، وتنتعش به رثة إبداعه لأن « الشفاهية تعني الجماعية . فالصوت الواحد قد يصل إلى آلاف الأذان في وقت واحد، ويصل إليهم محملاً بشفرات هم فيها شركاء» (محمد حجو، 2012، صفحة 22). فالشفاهية تعني الجماعية، والجماعية مورد أساس للشعبية ، ولذلك ساوى (سوكولوف/Solokof) دلالياً بين مصطلحي (شعر شعبي) و (شعر شفهي) قناعة منه بتساوي الشفاهي والشعبي ، أو لزوم الشفاهية للشعبية.

كما أن الشفاهية ظاهرة فرجوية أيضاً كونها وسيلة اتصال سمعي بصري، تسليز فنيا ربط المبدع بجمهوره مباشرة . والفرجة لا تقتصر على عاملي اللغة والمضمون فحسب ، بل تشمل معطى آخر أهم من الاثنين، هو اللغة الجسمية للمؤدي من مثل الإشارات والحركات والإيماءات وتغيرات نبرة الصوت وملامح الوجه وسائر التعبيرات الجمالية للغة المرئية، كضمان

لانشداد المتلقي وانتباهه وتأثره، واستجابته لمعطى النص الشفاهي السائل المتحرك الذي يرفض الركود المطبعي وثبات الكتابة والتدوين. ف « معضلة كل ما هو شفوي هي أن يندثر أو يصير أدبا » (عماد مصطفى، صفحة 151). وقراءة نكتة ما من كتاب، غير التي يتم سماعها مباشرة من فيه منكت معروف بخفة الروح وسحر الأداء. وشتان بين نصين، يتوسل أحدهما بلغة اللغة ويتوسل الثاني بلغة الجسد. أو اللغة الناطقة في مقابل اللغة الصامتة، ففضاء الشفاهي اللامحدود أكبر من أن يستوعبه الورق.

ولأن الشفاهية تنحاز للسمع على حساب الرؤية، فقد أُشترط في الكتابية لتحقيقها متعة القراءة على غرار متعة التلقي الشفاهي أن تكون القراءة بصوت عال مرتفع قصد وضع « المتلقي في دوامة الغنائية يترقب ويستمتع إيقاعا متوازنا ورصينا لخطابية تغلب لصالح حاسة السمع على البصر » (والتر جاونج، صفحة 220). و « كثيرا ما يكون البصر مخدوعا، أما السمع فيقوم بدور الضامن » (عبدالفتاح كيليطو، 2006، صفحة 13).

فالمبدع الشعبي إذ يركن للشفاهة يكون قد ساوى بين السمع والبصر. سماع المتلقين لصوته حاكيا لقصص الشعب، مخبرا عن حلهم وترحالهم داخل معتزك الحياة، واصفا لشغلهم وانشغالهم وصراهم مع الكون والطبيعة والإنسان، وفي الآن رؤيته مؤديا مشيرا بيده ورأسه ضاحكا ومبتسما أو عابسا وغاضبا. تماما كمغالبة الشاعر للقصيداء إلقاء وإنشادا. فشفاهة النص - أي نص - ولادة عسيرة دون قابلية. فليس المكتوب أو المدون أو المطبوع بالضرورة هو النص ما لم تحكم عليه ثقافة المبدع ومتلقيه وترضاه الجماعة وترفعه إلى مرتبة النص. لأن « الكلام لا يصير نصا إلا داخل ثقافة معينة »، لها رؤيتها الخاصة وأسلوبها المخصوص، فالشفاهية لا تعني (التلفظ بالكلام) فحسب، بل تعني: (التواصل الشخصي المباشر). وزيادة للإبانة والتوضيح الجدول التالي بما يحويه من مقارنة بين خطابين سرديين: (مشافه ومكتوب)، ووضع المبدع بينهما (صالح هويدي، صفحة 60):

الجدول 1: جدول للمقارنة بين خطابين سرديين: مشافه ومكتوب. ووضع المبدع بينهما

العدد	الوظيفة	نمط التواصل	وسيلة التواصل	شكل التواصل	طبيعة التواصل	علاقته بالمتصل به	أثره عليه	طبيعة الرؤية
مفرد	مؤدي ملتزم	إبلاغي	اللغة الجسد الطرب	مباشر خارجي	حي فيزيقي	النقل	مباشر محسوس	رؤية جماعية
مفرد متعدد	الرواية التشكيك الاعتراض	لغوي	اللغة	علاماتي كتابي	مضممر وراقي	الإنتاج	غير مباشر غامض	رؤية فردية

المصدر: (صالح هويدي، صفحة 60)

3. محاسن الشفاهة على الابداع الشعبي

وللشفاهية محاسن ومقايح يعني من ثنتاها أولها، ويهمني من أولها ما تواصل و إبداع الشعب . فمن محاسنها على الإبداع الشعبي ما يلي :

1.3 تعتبر بلاغة الوفرة (التكرار) نقيصة فنية في أي كلام، أما ملازمتها للإبداع الشعبي فإنها من قبيل (الإفاضة) لا (الإضافة) . وهي ميزة فارقة في بلاغة الوفرة الشفاهية، ذات مطمح إبداعي لا بلاغي يكون معه الراوي والمستقبل في مستوى واحد من البث والاستقبال السريع (نبيلة إبراهيم، صفحة 73) .

2.3 الأمثال والألغاز ثقافة شفاهية، الفصيح منها واللهجي. فهي لا تستخدم لتخزين المعرفة فحسب بل لجذب الآخرين إلى حوار لفظي أو ذهني، إذ « يمثل نطق المثل أو اللغز تحدياً للمستمعين كي يقابله بمثل أفضل للمقام أو ما يناقضه في المعنى» (والتر جاونج، صفحة 107). وبالمثل تحول الشفاهية تعبيرات الشعب الأخرى إلى حلبة للحوار والتفاضل وتشارك الرؤى .

3.3 يسعى الإبداع الكتابي - فيما لاحظناه - إلى تصفية أحد طرفي معادلة الإبداع والتخلص من أحدهما لصالح أحدهما (موت المؤلف أو تهميش القارئ وإقصاؤه). في حين يحافظ الإبداع الشفاهي على الحضور المزدوج لهما والمساواة بينهما في أحقية الإبداع، وهو ما أشارت إليه : (نبيلة إبراهيم) (نبيلة إبراهيم، صفحة 72) في حديثها عن ميزة (البساطة و العفوية) في إبداع الشعب. فقانون البساطة - ترى الكاتبة - له علاقة بعملية التوصيل الجماعي، ويقوم على التوصيل المباشر لأن النص الشفاهي يتوسط (السمع) و (الصوت) . صوت الراوي أو المؤدي، وسمع المستمعين أو المتلقين. ويرتبط بالصوت (حصيلة التفرغ) أو ثقافة الراوي، بينما يرتبط السماع ب(حصيلة الشحن) أو المعرفة المتلقاة . وفي الخطاب الشفاهي تتكافأ حصيلتا الشحن و التفرغ فيتكافأ معهما مقاما الملقى والمتلقي. أما في الإبداع الكتابي والمدون فتكبر حصيلة التفرغ حصيلة الشحن بكثير، طالما أن المؤلف قد استعد استعدادا كاملا لفعل التفرغ وتفرغ له مستعينا بلا مباشرة الكتابة .

4. خطورة تحويل الشفاهي الى كتابي:

وبين مباشرة المشافهة ولا مباشرة الكتابة تقف الشعبية بين مطرقة وسندان. فالإبداع الشعبي يتأسس على مبدأ التواتر أو خالف عن سالف، والكتابة وحدها الأجدر بهكذا مهمة، وهو ما يعني تدوين إبداعات الشعب، والتدوين معناه المرور من السماع والمشاهدة المباشرة إلى القراءة أو المشاهدة غير المباشرة . والمسألة على درجة من التعقد والمخاطرة « لأنه لا يمكن اختزال نص شعبي شفوي في مادته القولية المنطوقة أو في بعده المعجمي فقط، لذلك وجب الاهتمام عند الجمع بملاسات أداء الرواة وحركاتهم، وبسياقات ذلك الأداء زمانا ومكانا» (ناصر البقلوطي، صفحة 19). ويتصل بتجميد السائل أو تحويل الشفاهي كتابيا مخاطر جمة نذكر منها الأهم :

1.4 قصور الكتابة في نقل الواقع اللّهي المنطوق، بشفراته الدلالية الخاصة ببيئته المحلية وناسها، من مثل مخارج الحروف والأصوات ومواطن الإمالة والإطالة والخطف والقطف وغيره، مع الإشارة إلى عدم الخلط أو الربط بين الشفاهية

واللهجة . فالشفاهية ليست مرادفة للهجة. بل إن مرادفها لها مفهوم موهوم لا أساس له من الصحة ويفنده واقع المسوحات الميدانية (عبدالحميد حواس، صفحة 13).

2.4 من معوقات الشفاهية محددها الدلالي المائه . فهل هو (الملفوظ أو المنطوق)؟ أم أنه (السمع أو الاستماع) ؟ . فأشهر التعريفات وأغلبها تسعى إلى تغليب جانب السمع على الصوت، منها مثلاً تعريف (موريس هويس M houis) في هذا الصدد بقوله : «الشفهية خاصية تتصف بها عملية التواصل المنجزة، انطلاقاً من الإدراك السمعي أساساً. أما الكتابية فهي خاصية تتصف بها عملية تواصل منجزة استناداً إلى إدراك بصري للإرسالية أساساً» (لويس جانكالفي، 2012، الصفحات 12-13). وتؤكد هذا المنحنى (نور الهدى باديس) (نور الهدى باديس، صفحة 25) معتبرة دلالة الملفوظ غير مقنعة، طالما أن الشفاهي غير ثابت وعرضة للتغيير برغم أمانته وصدقية نقله. لذلك يظل المفهوم السماعي هو الأقرب إلى التعريف الشافي للشفاهي . وعلى هذا الأساس يتعسر على النص المكتوب المترجم عن النص المشافه ترجمة (الفعالية الاتصالية) أو لذة التلقي، لأن السامع غير القارئ . فالسامع يتابع المؤدي مباشرة فينغمس في عملية البث بشقيها اللغوي والجسدي، خلاف القارئ الذي يكتفي من النص بجانبه اللغوي فحسب، وهو ما يستدعي إضافة إلى التدوين الورقي أو الإلكتروني تدويناً سمعياً بصرياً كأفضل طريقة حفظ متاحة.

5. بوادر النقد الأدبي الشفاهي:

ويستدعي تدوين المادة الشعبية المشافهة المسموعة والمرأة / المرئية تدويناً آخر ظهرت طلائعه في الآونة الأخيرة، دعا إليه عالم الفولكلور الأمريكي (آلان دندس A. dundes) (آلان دندس، الصفحات 10-11) فيما أسماه : (النقد الأدبي الشفاهي) . والداعي إلى ذلك فيما رآه، التعدد الهائل لمظاهر المادة الشعبية وما تتطلبه من تفسيرات متشاكلة متباينة . فقد يسأل الباحث أو جامع المادة الشفاهية عشر رواة أو أكثر عن فهم كل منهم لمعنى نكتة معينة، فتكون الردود بتعداد عددهم أو يزيد، فبأيها يعتد الباحث في غياب هذا النقد المأمول؟ .

ويضيف (آلان دندس) إلى هذا الإشكال إشكالاً آخر أشد، له علاقة بهوامش النقل الحي والمباشر للرواية الشفاهية . ولتكن كما مثل لذلك النكتة أو الحكاية الهزلية . فالنقد الأدبي الشفاهي لا غير الأجدر بملاحقة جزئيات هذا النمط الحكائي أو رصد فراغات فعله المحكي. كأن يسأل : في أي موضوع أثارت هذه النكتة الضحك ؟ فهل هي قهقهة أم ضحك يهز البدن أم ضحك بصوت عال؟ وهل ضحك الجمهور وكيف ذلك؟. ومم ضحك ولماذا؟. كل هذه التفصيلات لا يجب أن تكون أثناء اللقاء المصطنع أو التسجيل المعلن عنه أو حتى اللقاءات الثنائية، بل عفوية أثناء رواية الراوي للنص أمام جمهوره، دونما علم من الملقي والمتلقي معا بوجود جامع أو مسجل أو شخص ما يهتم بهما وبعملية الإلقاء (آلان دندس، صفحة 27).

وفي اعتقادي أنها - دعوة دندس- انشغال عربي أيضاً، لكن غير مرتبطة بالرؤية النقدية، بل بالمسوحات الميدانية الحثيثة والصارمة، وشبيه بها مطالبة (صفوت كمال) (صفوت كمال، الصفحات 8-9) الباحث العربي وجامعي التراث الشعبي تحري

الدقة في الملمة إبداعات الشعب، والتزامهم بمنهج استفهامي رصين اختزله في : (ماذا. أين. متى. من. إلى متى. لماذا. كيف؟) . و» احترام النص خاما (...) بتكراراته أو اختصاراته وترددات الراوي وسكوته وتداركاته (ناصرالبقلوطي، صفحة 19)

ولم يكتف (آلان دندس) (آلان دندس، صفحة 11) بالنقد الأدبي الشفاهي كمنهج شامل لضمان تقييد الشفاهي، بل اقترح أيضا ما سماه (الفولكلور الشارح) أو (الميتافولكلور metafolklor) أو شرح (الفولكلور بالفولكلور). ويراه نوعاً أحادي ومنوع :

- الأحادي : شرح المثل بالمثل / النكتة بالنكتة.

- منوع : شرح المثل بالنكتة / النكتة بالمثل .

ويراهن على ضرورة اعتماد (النقد الأدبي الشفاهي) على (الميتافولكلور)، في إشارة منه إلى (المادة الشارحة) الناتجة عن الميتافولكلور الأحادي أو المنوع . والغاية من هذا وذاك يقول (آلان دندس) : « إن هدفنا المستقبلي في جمع الفولكلور يجب أن يكون نصوصاً أقل وسياقات أكثر، مع نقد أدبي شفاهي مفصل ومصاحب » (آلان دندس، صفحة 11).

أما مطمحي من هذا النقد الموعود، فلا يقل عن طموح (ميلمان باري/ Milman Parry) ونظريته الرائدة (النظرية الشفاهية) أو (نظرية الصيغ الشفاهية)، وهو إرجاع ما للشعب للشعب، وردع القارئ المعاصر من أن يتحوط زوراً وبهتاناً على موارد المتن الفطري . تماماً مثلما أعادت (النظرية الشفاهية) نصاً كونياً سطت عليه الكتابية لحضيرة النصوص الشفاهية، وأجل ملحمة (الإلياذة) في التاريخ، من مبدع يدعى (هوميروس) إلى مبدع يدعى (الشعب)

6. ضرورة التوافق بين الشفاهة والكتابة:

ومن مكاني هذا وأنا أسند السطر إلى السطر أشيد بمكارم الشفاهية على إبداع الشعب، وسط كومة من المدونات التأليفية وأوراق مسودة كاملة ومجزأة، وأقلام مشردة بأحبارها الأسود والأزرق والأحمر والأخضر. ساءلت نفسي : هل كان هذا المكتوب بين يدي سيبعث إلى الوجود قبل أن يسعه الوجود لولا الكتاب والورقة والقلم، أو لولا الكتابية ؟ فاستحييت من أن أجيب لبديهة الإجابة عن السؤال . فالشفاهية والكتابية معا روحا وجسدا . ينتفي بانتفاء أحدهما الموجود في هذا الوجود، فكما للمشفاهة سحرها على الإبداع البشري والإنساني، كذا للكتابة أعظم الفضل في عقلنة هذا السحر. فالجمال كل الجمال توليفة من سحر وعقل .

والشفاهية ضرورة فنية مرحلية للإبداع الشعبي، لا ثوبا يلزمه على الدوام . كما لا يصح أن نرى في التدوين أو الكتابة ندا لها، بل هي في جوهرها المكمل لها، والخطوة التي تليها في تطور الفكر البشري، وصيرورة تحولها، والأنسب في اعتقادي أن تكون لغة الشفاه مع لزومها لإبداع الشعب مرحلة محدودة طالت أو قصرت، لأن وجه الحق منها هو إشراك أفراد الشعب في فاعلية الإبداع للمرور به من مرحلة الفردية الشخصية إلى الأخرى الجماعية اللا شخصية، وكما كانت ثقافة الشفاه لها تميزها في جوانب عدة لها أيضا عيوبها في جوانب مغايرة، اضطلعت ثقافة السماع بهذا النقص في تلك الجوانب . فالحق أن علاقة الشفاهة في قبال الكتابة لا هي بالنقيض ولا البديل .

ومحصول مافات : أن الاتصال البشري كان في البدء شفاهيا ثم كتابيا فطباعيا، ليصير اليوم بفعل عصره الحياة اتصالا الكترونيا، وقد تعيده العولمة إلى سالف عهده ومهاده التاريخي والأزماني الأول ليتحول (شفاكترونيا) !! . « وما العصر الإلكتروني إلا عصر "شفاهية ثانوية" ، شفاهية التليفون والإذاعة والتلفاز، وهي شفاهية تعتمد في وجودها على الكتابة والطباعة » (والتر جأونج، صفحة 49)، ويرجع الدور المركزي في المرحلة الأولى للتحدث والاستماع في التفاعل بين الملقى والمتلقي . كما شكلت عملية الاتصال دورا فاعلا في تشكيل الآداب الإنسانية ورفدها وتطورها، ومنها الأدب الشفاهي بشكل خاص والإبداع الشعبي بشكل عام . ولم يسلم من هذا الترتيب في عملية الاتصال أدبنا العربي، حيث اعتمد الجاهلي منه الشفاهية، فكانت أشعاره وأخباره وحكيه وأسماره تُداول من الأفواه إلى الأذان، خالفها عن سالفها ..

والبحث الأنثروبولوجي هو الآخر يعتمد على الشفاهية، ويتوسل في أحيان كثيرة لغة الشفاه . لأن « المادة الأنثوجرافية التي تتوافر للباحث الأنثروبولوجي عن طريق البحث الميداني هي مادة شفاهية بحتة مستخلصة من اللغة العامية » (السيد حامد ، صفحة 62) . فما الذي يجعلها (الشفاهية) عرة بدائية، ووسما للجهل والامية، ومهينة للتخلف والانتكاص، وخرقة من أسمال الغابر البغيض، حينما يتعلق الأمر بإبداع الشعب ومبدعه الموسومان أبدا بالشفهية !..

ببليوجرافيا :

مراجع تراثية :

- 1 ابن منظور: (محمد بن مكرم أبو الفضل الانصاري الافريقي)، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3/1414هـ، ج 01 .
- 2 الجوهري : (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري) ، (ت 1003 م) ، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد ثامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ط 2009 م .
- 3 الفيروز آبادي : (أبو طاهر مجيب الدين محمد بن يعقوب الشيرازي)، (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2005/08 م .

مراجع معربة :

- 1 لويس جان كالفي، التقاليد الشفهية، ذاكرة وثقافة، (نقلا عن غيره)، ترجمة : رشيد برهون، مراجعة فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ط2012/01م،
- 2 والتر جأونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة : حسن البنا عزالدين، المجلس الوطني للثقافات والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، عدد182 /فبراير، 1994م،

مراجع حديثة :

- 1 جابر عصفور، غواية التراث، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، ط01/ أكتوبر2005م، رقم السلسلة: 62،

- (2) سيد إسماعيل ضيف الله، آليات السرد بين الشفاهية والكتابية، دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط2008/01م،
- (3) صادق جلال العظم، ما بعد ذهنية التحريم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سورية، ط2004/02م
- (4) عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغربة، دراسات بنيوية في الأدب الغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2006/03م
- (5) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، مصر، ط 1989م.
- (6) محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1988م، ج 01 .
- (7) محمد العباس، نهاية التاريخ الشفوي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط2008/01م
- (8) محمد حجو، الإنسان وانسجام الكون، سيميائيات الحكى الشعبي، دارالأمان، الرباط، المغرب، ط2012/01 م .
- (9) نبيلة إبراهيم، درة الغواص في التعبير الشعبي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط01 / 2009م

مراجع صحفية :

- الثقافة الشعبية : مجلة فصلية علمية محكمة متخصصة، يصدرها أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة، مملكة البحرين :
- 1. عبد الحميد حواس، (المادي وغير المادي في الثقافة الشعبية)، عدد 09 / ربيع 2010م .
- 2. ناصر البقلوطي، (تدوين الأدب الشعبي، حفظ أم نقض لفظ)، عدد 17 / ربيع 2012م .
- 3. نبيلة إبراهيم، (بلاغة التوصيل في التعبير الشعبي)، عدد 20 / شتاء 2013م .
- 4. نور الهدى باديس، (المشاهدة والتدوين، الثابت والمتغير)، عدد 13 / ربيع 2011م .
- الفنون الشعبية : مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر :
- 5. آلان دندس، (الميتافولكلور والنقد الأدبي الشفاهي)، ترجمة : علي عفيفي، عدد 42 / مارس 1994م.
- 6. السيد حامد، (الشفاهية والكتابة الأثنوجرافية، دراسة في اللفظ والمعنى)، عدد 70 / يونية 2006 م
- 7. صفوت كمال، (دراسة الإبداع الشعبي)، عدد 45/ديسمبر 1994م
- الموروث : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث الثقافي، تصدر عن معهد الشارقة للتراث، دولة الإمارات العربية المتحدة :
- 8. صالح هويدي، (وظيفة الراوي بين السرد الشفاهي والسرد الكتابي)، عدد 05 / مارس 2017م ،
- ثقافات : مجلة علمية محكمة، تعنى بالدراسات الثقافية، تصدرها كلية الآداب بجامعة البحرين :
- 9. عماد مصطفى، (الاتصال الشفاهي والأدب الشفاهي)، عدد 23 / 2010م .
- فصول : مجلة النقد الأدبي، فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر :
- 10. نبيلة إبراهيم، (خصوصيات الإبداع الشعبي)، مجلد 10، عدد 3 و4 / يناير 1992م.

- معالم : مجلة نصف سنوية محكمة، تعنى بترجمة مستجدات الفكر العالمي ، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر:

11. بولزومتور، (مدخل إلى الشفوية الشعرية)، ترجمة : حميد بوحبيب،، عدد 01 / 2009 م .

- الكاتب : مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر:
12. آلان دندس، (الأدب الشعبي، دراسة في الفولكلور والأنثروبولوجيا الثقافية)، ترجمة : محمد الشال، عدد 197 / أغسطس 1977 م